

عمدة القاري

صاحبه ما يؤذيه من الشهوات وقال عياض معناه يستتر من الآثام أو من النار أو بجميع ذلك وبالأخير قطع النووي قوله فلا يرفث بفتح الفاء وكسرهما وضمها معناه لا يفحش والمراد من الرفث هنا الكلام الفاحش ويطلق على الجماع وعلى مقدماته وعلى ذكره مع النساء ويحتمل أن يكون النهي عما هو أعم منها قوله ولا يجهل أي لا يفعل شيئاً من أفعال الجاهلية كالعياط والسفه والسخرية ووقع في رواية سعيد بن منصور من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه فلا يرفث ولا يجادل وقال القرطبي لا يفهم من هذا أن غير الصوم يباح فيه ما ذكر وإنما المراد أن المنع من ذلك يتأكد بالصوم قوله وإن امرؤ قاتله كلمة إن مخففة موصولة بما بعده تقديره وإن قاتله امرؤ ولفظ قاتله يفسره كما في قوله تعالى وإن أحد من المشركين استجارك (التوبة 6) أي استجارك أحد من المشركين ومعنى قاتله نازعه ودافعه قوله أو شاتمته أي أو تعرض للمشاتمة وفي رواية أبي صالح فإن سابه أحد وفي رواية أبي قره عن طريق سهيل عن أبيه وإن شتمه إنسان فلا يكلمه ونحوه في رواية همام عن أبي هريرة عند أحمد وفي رواية سعيد بن منصور من طريق سهيل فإن سابه أحد أو ماراه يعني جادله وفي رواية ابن خزيمة من طريق عجلان مولى المشمعل عن أبي هريرة فإن شاتمك أحد فقل إني صائم وأن كنت قائماً فاجلس وقد ذكرنا في رواية الترمذي وإن جهل على أحدكم جاهل وهو صائم فليقل إني صائم .

قال شيخنا زين الدين اختلف العلماء في هذا على ثلاثة أقوال أحدهما أن يقول ذلك بلسانه إني صائم حتى يعلم من يجهل أنه معتصم بالصيام عن اللغو والرفث والجهل والثاني أن يقول ذلك لنفسه أي وإذا كنت صائماً فلا ينبغي أن أخذش صومي بالجهل ونحوه فيزجر نفسه بذلك والقول الثالث التفرقة بين صيام الفرض والنفل فيقول ذلك بلسانه في الفرض ويقول لنفسه في التطوع قوله فليقل قال الكرمانى أي كلاماً لسانياً ليسمعه الشاتم والمقاتل فينزر غالباً أو كلاماً نفسانياً أي يحدث به نفسه ليمنعها من مشاتمته وعند الشافعي يجب الحمل على كلا المعنيين .

واعلم أن كل أحد منهى عن الرفث والجهل والمخاصمة لكن النهي في الصائم أكد قال الأوزاعي يفطر السب والغيبة فقل معناه أنه يصير في حكم المفطر في سقوط الأجر لا أنه يفطر حقيقة انتهى كلامه فإن قلت قاتله أو شاتمته من باب المفاعلة وهي للمشاركة بين الإثنين والصائم مأمور بالكف عن ذلك قلت لا يمكن حمله على أصل الباب ولكنه قد يجيء بمعنى فعل يعني لنسبة الفعل إلى الفاعل لا غير كقولك سافرت بمعنى نسبت السفر إلى المسافر وكما في قولهم عافاه

اﻟﻔﻼﻥ ﻋﺎﻟﺞ ﺍﻟﺄﻣﺮ ﻭﻳﺆﻳﺪ ﻫﺬﺍ ﻣﺎ ﺫﻛﺮﻧﺎ ﻣﻦ ﺭﻭﺍﻳﺔ ﺳﻬﻴﻞ ﻋﻦ ﺃﺑﻴﻪ ﻭﺇﻥ ﺷﺘﻤﻪ ﺇﻧﺴﺎﻥ ﻓﻼ ﻳﻜﻠﻤﻪ
ﻭﻗﺪ ﻣﺾﻯ ﻋﻦ ﻗﺮﻳﺐ .

ﻗﻮﻟﻪ ﻣﺮﺗﻴﻦ ﺍﺗﻔﻘﺖ ﺭﻭﺍﻳﺎﺕ ﻛﻠﻬﺎ ﻋﻠﻰ ﺃﻧﻪ ﻳﻘﻮﻝ ﺇﻧﻲ ﺻﺎﺋﻢ ﻓﻤﻨﻬﻢ ﻣﻦ ﺫﻛﺮﻫﺎ ﻣﺮﺗﻴﻦ ﻭﻣﻨﻬﻢ
ﻣﻦ ﺍﻗﺘﺼﺮ ﻋﻠﻰ ﻭﺍﺣﺪﺓ ﻗﻮﻟﻪ ﻭﺍﻟﺬﻯ ﻧﻔﺴﻲ ﺑﻴﺪﻩ ﺃﻗﺴﻢ ﻋﻠﻰ ﺫﻟﻚ ﻟﻠﺘﺄﻛﻴﺪ ﻗﻮﻟﻪ ﻟﺨﻠﻮﻑ ﻓﻢ ﺍﻟﺼﺎﺋﻢ
ﺑﻀﻢ ﺍﻟﺨﺎﺀ ﺍﻟﻤﻌﺠﻤﺔ ﻻ ﻏﻴﺮ ﻫﺬﺍ ﻫﻮ ﻟﻤﻌﺮﻭﻑ ﻓﻲ ﻛﺘﺐ ﺍﻟﻠﻐﺔ ﻭﺍﻟﺤﺪﻳﺚ ﻭﻟﻢ ﻳﺤﻚ ﺻﺎﺣﺒﺎ (ﺍﻟﻤﺤﻜﻢ)
ﻭ (ﺍﻟﺼﺤﺎﺡ) ﻏﻴﺮﻩ ﻭﻗﺎﻝ ﻋﻴﺎﺹ ﻭﻛﺜﻴﺮ ﻣﻦ ﺍﻟﺸﻴﻮﺥ ﻳﺮﻭﻭﻧﻪ ﺑﻔﺘﺤﻬﺎ ﻗﺎﻝ ﺍﻟﺨﻄﺎﺑﻲ ﻭﻫﻮ ﺧﻄﺂ ﻗﺎﻝ
ﺍﻟﻘﺎﺿﻲ ﻭﺣﻜﻲ ﻋﻦ ﺍﻟﻘﺎﺑﺴﻲ ﻓﻴﻪ ﺍﻟﻔﺘﺢ ﻭﺍﻟﻀﻢ ﻭﻗﺎﻝ ﺃﻫﻞ ﺍﻟﻤﺸﺮﻕ ﻳﻘﻮﻟﻮﻧﻪ ﺑﺎﻟﻮﺟﻬﻴﻦ ﻭﺍﻟﺼﻮﺍﺏ
ﺍﻟﺄﻭﻝ ﻭﻓﻲ (ﺍﻟﺘﻠﻮﻳﺢ) ﻭﻓﻲ ﺭﻭﺍﻳﺔ ﻟﺨﻠﻔﺔ ﻓﻢ ﺍﻟﺼﺎﺋﻢ ﺑﺎﻟﻀﻢ ﺃﻳﺸﺎ ﻭﻗﺎﻝ ﺍﻟﺒﺮﻗﻲ ﻫﻮ ﺗﻐﻴﺮ ﻃﻌﻢ
ﺍﻟﻔﻢ ﻭﺭﻳﺤﻪ ﻟﺘﺄﺧﺮ ﺍﻟﻄﻌﺎﻡ ﻳﻘﺎﻝ ﺧﻠﻒ ﻓﻮﻩ ﺑﻔﺘﺢ ﺍﻟﺨﺎﺀ ﻭﺍﻟﻼﻡ ﻳﺨﻠﻒ ﺑﻀﻢ ﺍﻟﻼﻡ ﻭﺃﺧﻠﻒ ﻳﺨﻠﻒ ﺇﺫﺍ
ﺗﻐﻴﺮ ﻭﺍﻟﻠﻐﺔ ﺍﻟﻤﺸﻬﻮﺭﺓ ﺧﻠﻒ ﻭﻗﺎﻝ ﺍﻟﻤﺎﺯﻳﻲ ﻫﺬﺍ ﻣﺠﺎﺯ ﻭﺍﺳﺘﻌﺎﺭﺓ ﻟﺄﻥ ﺍﺳﺘﻄﺎﺑﺔ ﺑﻌﺾ ﺍﻟﺮﻭﺍﺋﻊ ﻣﻦ
ﺻﻔﺎﺕ ﺍﻟﺤﻴﻮﺍﻥ ﺍﻟﺬﻯ ﻟﻪ ﻃﺒﺎﻉ ﻳﻤﻴﻞ ﺇﻟﻰ ﺷﻴﺀ ﻳﺴﺘﻄﻴﺒﻪ ﻭﻳﻨﻔﺮ ﻣﻦ ﺷﻴﺀ ﻳﺴﺘﻘﺬﺭﻩ ﻭﺍﻟﻠﻪ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ
ﻭﺗﻌﺎﻟﻰ ﺗﻘﺪﺱ ﻋﻦ ﺫﻟﻚ ﻟﻜﻦ ﺟﺮﺕ ﻋﺎﺩﺗﻨﺎ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺘﻘﺮﺏ ﻟﻠﺮﻭﺍﺋﻊ ﺍﻟﻄﻴﺒﺔ ﻓﺎﺳﺘﻐﻴﺮ ﺫﻟﻚ ﻓﻲ ﺍﻟﺼﻮﻡ
ﻟﺘﻘﺮﻳﺒﻪ ﻣﻦ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﻗﺎﻝ ﻋﻴﺎﺹ ﻳﺠﺎﺯﻳﻪ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﺑﻪ ﻓﻲ ﺍﻻﺧﺮﺓ ﻓﺘﻜﻮﻥ ﻧﻜﻬﺘﻪ ﺃﻃﻴﺐ ﻣﻦ ﺭﻳﺢ
ﺍﻟﻤﺴﻚ ﻭﻗﻴﻞ ﻟﻜﺜﺮﺓ ﺛﻮﺍﺑﻪ ﻭﺃﺟﺮﻩ ﻭﻗﻴﻞ ﻳﻌﺒﻖ ﻓﻲ ﺍﻻﺧﺮﺓ ﺃﻃﻴﺐ ﻣﻦ ﻋﺒﻖ ﺍﻟﻤﺴﻚ ﻭﻗﻴﻞ ﻃﻴﺒﻪ ﻋﻨﺪ
ﺍﻟﻠﻪ ﺭﺿﺎﻩ ﺑﻪ ﻭﺛﻨﺎﺅﻩ ﺍﻟﺠﻤﻴﻞ ﻭﺛﻮﺍﺑﻪ ﻭﻗﻴﻞ ﺇﻥ ﺍﻟﻤﺮﺍﺩ ﺃﻥ ﺫﻟﻚ ﻓﻲ ﺣﻖ ﺍﻟﻤﻼﺋﻜﺔ ﻭﺃﻧﻬﻢ ﻳﺴﺘﻄﻴﺒﻮﻥ
ﺭﻳﺢ ﺍﻟﺨﻠﻮﻕ ﺃﻛﺜﺮ ﻣﻤﺎ ﻳﺴﺘﻄﻴﺒﻮﻥ ﺭﻳﺢ ﺍﻟﻤﺴﻚ ﻭﻗﺎﻝ ﺍﻟﺒﻐﻮﻱ ﻣﻌﻨﺎﻩ ﺍﻟﺘﺌﺎﺀ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺼﺎﺋﻢ ﻭﺍﻟﺮﺿﻰ
ﺑﻔﻌﻠﻪ ﻭﻛﺬﺍ ﻗﺎﻟﻪ ﺍﻟﻘﺪﻭﺭﻱ ﻣﻦ ﺍﻟﺤﻨﻔﻴﺔ ﻭﺍﺑﻦ ﺍﻟﻌﺮﺑﻲ ﻣﻦ ﺍﻟﻤﺎﻟﻜﻴﺔ ﻭﺃﺑﻮ ﻋﺜﻤﺎﻥ ﺍﻟﺼﺎﺑﻮﻧﻲ ﻭﺃﺑﻮ
ﺑﻜﺮ ﺑﻦ ﺍﻟﺴﻤﻌﺎﻧﻲ ﻭﻏﻴﺮﻫﻢ ﻣﻦ ﺍﻟﺸﺎﻓﻌﻴﺔ ﺟﺰﻣﻮﺍ ﻛﻠﻬﻢ ﺑﺂﻧﻪ ﻋﺒﺎﺭﺓ ﻋﻦ ﺍﻟﺮﺿﻰ ﻭﺍﻟﻘﺒﻮﻝ ﻭﻗﺎﻝ
ﺍﻟﻘﺎﺿﻲ ﻭﻗﺪ ﻳﺠﺰﻳﻪ ﺍﻟﻠﻪ ﺗﻌﺎﻟﻰ ﻓﻲ ﺍﻻﺧﺮﺓ ﺣﺘﻰ ﺗﻜﻮﻥ ﻧﻜﻬﺘﻪ ﺃﻃﻴﺐ ﻣﻦ ﺭﻳﺢ ﺍﻟﻤﺴﻚ ﻛﻤﺎ